الفصل التاسع عشر

التَّحَرُّكُ

صَارَتِ الْمَعَارِكُ غَرِيبَةُ الطَّابَعِ مَلْمَحًا لِهَذِهِ الْبُقْعَةِ مِنَ الْعَالَمِ؛ فَدَائِمًا تُسْمَعُ أَصْوَاتُ الْقَصْفِ وَهَدِيرُ الْمَدَافِعِ الْمَكْتُومُ فِي الْأُفْقِ.

صَدَرَ الْأَمْرُ لِكَتِيبَةِ هنري أَنْ تَحُلَّ مَحَلَّ كَتِيبَةٍ أُخْرَى ظَلَّتْ قَابِعَةً فَتْرَةً طَوِيلَةً دَاخِلَ بَعْضِ الْخَنَادِقِ الرَّطْبَةِ. أَحَاطَتْ أَصْوَاتُ الْقِتَالِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وانْبَعَثَ الضَّجِيجُ مِنَ الْغَابَةِ أَمَامَهُمْ مُبَاشَرَةً وَعَلَى يَسَارِهِمْ، بَيْنَمَا زَادَتِ الْأَصْوَاتُ عَلَى يَمِينِهِمْ سُوءًا كُلَّ دَقِيقَةٍ، وَسُرْعَانَ مَا تَعَذَّرَ سَمَاعُ صَوْتِ أَحَدٍ.

أَرَادَ هنري أَنَّ يُمَازِحَ رِفَاقَهُ، لَكِنْ لَمْ يَسْمَعْهُ أَحَدٌ. أَخِيرًا تَوَقَّفَتْ أَصْوَاتُ الطَّلَقَاتِ وَبَدَأَتِ الشَّائِعَاتُ تَسْرِي بَيْنَ الرِّجَالِ مِنْ جَدِيدٍ. تَحَدَّثَ الْجُنُودُ عَنِ الْمَعَارِكِ الْأُخْرَى وَالْكَوَارِثِ الَّتِي نَجَوْا مِنْهَا.

وعِنْدَمَا انْطَلَقَتْ أَصْوَاتُ الْمَدَافِعِ مِنْ جَدِيدٍ، بَدَا البُؤسُ عَلَى وُجُوهِ الجُنُودِ وَبَدَءُوا يُغَمْغِمُونَ، وَكَأَنَّ لِسَانَ حَالِهِمْ يَقُولُ: «مَا الَّذِي يُمْكِنُنَا فِعْلُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟» سَمِعُوا شَائِعَاتٍ أَنَّ جَيْشَهُمْ كَانَ يَخْسَرُ الْحَرْبَ.

قَبْلَ أَنْ يَنْقَشِعَ الضَّبَابُ، تَقَدَّمَتِ الْكَتِيبَةُ بِحَذَرٍ دَاخِلَ الْغَابَاتِ. كَانَ رِجَالُ الْعَدُوِّ يُشَاهَدُونَ أَحْيَانًا وَهُمْ يُسْرِعُونَ وَسْطَ الْأَشْجَارِ وَالْحُقُولِ الصَّغِيرَةِ، وكَانُوا يَصِيحُونَ مُتَحَمِّسِينَ سُعَدَاءَ.

عِنْدَمَا رَأَى هنري ذَلِكَ، تَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ، وَصَاحَ: «إِنَّنَا خَاضِعُونَ لِسَيْطَرَةِ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الْحَمْقَى!»

قَالَ أَحَدُ رِفَاقِهِ: «كَثِيرُونَ قَالُوا هَذَا الْكَلَامَ الْيَوْمَ.»

بَدَأَ هنري يَشْكُو بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ مِنْ قَائِدِ الْجَيْشِ، لَكِنَّ ويلسون أَوْقَفَهُ.

قَالَ بِصَوْتٍ مُرْهَقٍ: «لَا أَعْتَقِدُ أَنَّهُ مُخْطِئٌ يَا هنري. لَقَدْ بَذَلَ مَا فِي وُسْعِهِ، وَمِنْ سُوءِ حَظِّنَا أَنْ نَخْسَرَ الْحَرْبَ.»

قَالَ هنري بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «أَلَمْ نُحَارِبْ كَالشَّيَاطِينِ؟ أَلَمْ نَفْعَلْ كُلَّ مَا بِاسْتِطَاعَةِ الرِّجَالِ فِعْلُهُ؟»

شَعَرَ هنري بِدَهْشَةٍ خَفِيَّةٍ مِمَّا قَالَهُ. شَعَرَ بِالذَّنْبِ لَحْظَةً، لَكِنْ لَمْ يُشَكِّكْ أَحَدٌ فِي حَقِّهِ لِأَنْ يَتَحَدَّثَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، وَسُرْعَانَ مَا عَادَتْ إِلَيْهِ شَجَاعَتُهُ.

قَالَ ويلسون: «لَنْ يَقُولَ أَحَدٌ إِنَّنَا لَمْ نُحَارِبْ بِضَرَاوَةٍ، لَكِنَّ الْحَظَّ لَمْ يَكُنْ حَلِيفَنَا.»

قَالَ هنري: «حسَنًا إِذَنْ، إِنْ كُنَّا قَدْ قَاتَلْنَا جَيِّدًا هَكَذَا، فَلَا بُدَّ أَنَّهُ خَطَأُ الجِنْرَالِ. لَا أَرَى أَيَّ مَنْطِقٍ فِي أَنْ نُحَارِبَ طِيلَةَ الْوَقْتِ وَنَخْسَرَ دَائِمًا بِسَبَبِ حَمَاقَتِهِ.»

قَالَ رَجُلٌ كَانَ يَسِيرُ بِجِوَارِهِ: «لَعَلَّكَ تَظُنُّ أَنَّكَ حَارَبْتَ جَيْشَ الْعَدُوِّ بِأَكْمَلِهِ أَمْسِ يَا هنري.»

عِنْدَهَا صَمَتَ هنري. كَانَ يَخْشَى أَنْ يَسْأَلَهُ الْآخَرُونَ عَنْ مَزِيدٍ مِنَ التَّفَاصِيلِ حَوْلَ مَا حَدَثَ لَهُ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ. لَمْ يُرِدْ لَفْتَ الِانْتِبَاهِ إِلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

فِي النِّهَايَةِ، تَوَقَّفَتِ الْكَتِيبَةُ فِي مَكَانٍ خَالٍ تُحِيطُ بِهِمْ أَصْوَاتُ الْمَعْرَكَةِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ.

تَذَمَّرَ هنري قَائِلًا: «دَائِمًا نُطَارَدُ كَالْفِئْرَانِ. لَا أَحَدَ يَعْلَمُ إِلَى أَيْنَ أَوْ لِمَاذَا نَتَحَرَّكُ. فَقَطْ يُحَرِّكُونَنَا هُنَا وَهُنَاكَ. الْآنَ لَدَى الْعَدُوِّ كُلُّ الْوَقْتِ لِلِاسْتِعْدَادِ لَنَا، وَنَحْنُ قَدْ وَصَلْنَا لِلتَّوِّ. لَا تُحَدِّثْنِي عَنْ سُوءِ الْحَظِّ، فَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكَ. إِنَّهُ هَذَا الْعَجُوزُ اللَّعِينُ ...»

قَاطَعَهُ ويلسون وَقَالَ لَهُ بِصَوْتٍ هَادِئٍ وَاثِقٍ: «سَيَكُونُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ فِي النِّهَايَةِ.»

اكْتَمَلَ طُلُوعُ النَّهَارِ، وَأَشْرَقَتِ الشَّمْسُ بِكَامِلِ أَشِعَّتِهَا عَلَى الْغَابَةِ. انْطَلَقَتْ إِحْدَى الطَّلَقَاتِ فِي الْغَابَةِ أَمَامَ الْكَتِيبَةِ، وَأَعْقَبَتْهَا عِدَّةُ طَلَقَاتٍ بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ دَقِيقَةٍ. اجْتَاحَتِ الْغَابَاتِ جَلَبَةٌ مُدَوِّيَةٌ مِنَ الِاشْتِبَاكَاتِ وَالصِّرَاعَاتِ، وَأَصْبَحَ ضَجِيجُ الْمَعْرَكَةِ رَعْدًا مَلِيئًا بِانْفِجَارَاتٍ مُمْتَدَّةٍ.

انْتَظَرَ أَفْرَادُ الْكَتِيبَةِ. كَانُوا مُنْهَكِينَ ولَمْ يَأْخُذُوا قِسْطًا كَافِيًا مِنَ النَّوْمِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا كَثِيرًا. نَظَرُوا نَحْوَ الْمَعْرَكَةِ الْوَشِيكَةِ، وَانْتَظَرُوا الصَّدْمَةَ. ارْتَدَّ بَعْضُهُمْ إِلَى الْوَرَاءِ قَلِيلًا خَوْفًا مِنَ الْأَصْوَاتِ، بَيْنَمَا ثَبَتَ الْبَاقُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ.

الفصل العشرون

بَطَلٌ حَقِيقِيٌّ

عِنْدَمَا رَأَى هنري الْعَدُوَّ يَتَّجِهُ نَحْوَهُمْ، انْتَابَتْهُ نَوْبَةُ غَضَبٍ مُفَاجِئَةٌ. ضَرَبَ الْأَرْضَ بِقَدَمَيْهِ، وَحَدَّقَ فِي الدُّخَانِ الْمُتَصَاعِدِ وَالْمُقْتَرِبِ بِنَظْرَةٍ مِلْؤُهَا الْكَرَاهِيَةُ. شَعَرَ بِالْغَضَبِ لِأَنَّ الْعَدُوَّ لَنْ يَتْرُكَهُ يَسْتَرِيحُ، وَلَنْ يُعْطِيَهُ أَيَّ وَقْتٍ لِلْجُلُوسِ وَالتَّفْكِيرِ. حَارَبَ هنري أَمْسِ، وَفَرَّ سَرِيعًا. لَقَدْ خَاضَ عِدَّةَ مُغَامَرَاتٍ، وَشَعَرَ أَنَّ مِنْ حَقِّهِ الْحُصُولَ عَلَى قِسْطٍ مِنَ الرَّاحَةِ. كَانَ مُرْهَقًا لِلْغَايَةِ.

لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ الرِّجَالَ الْآخَرِينَ لَا يَكِلُّونَ، وَكَانَ هنري يُكِنُّ لَهُمْ كَرَاهِيَةً بَالِغَةً. لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ أَنْ يُطَارَدَ بَعْدَ الْآنَ. انْحَنَى خَلْفَ شَجَرَةٍ صَغِيرَةٍ، وَصَرَّ عَلَى أَسْنَانِهِ. لَا تَزَالُ الْعِصَابَةُ مَرْبُوطَةً حَوْلَ رَأْسِهِ، وَبِهَا بُقْعَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الدِّمَاءِ. كَانَ شَعْرُهُ أَشْعَثَ يَتَدَلَّى فَوْقَ الْعِصَابَةِ مُغَطِّيًا جَبِينَهُ. وكَانَتْ أَزْرَارُ سُتْرَتِهِ وَقَمِيصِهِ مَفْتُوحَةً عِنْدَ الْعُنُقِ، وَأَصَابِعُهُ مُلْتَفَّةً فِي تَوَتُّرٍ حَوْلَ بُنْدُقِيَّتِهِ. شَعَرَ أَنَّ الْعَدُوَّ يُهِينُهُ هُوَ وَأَصْدِقَاءَهُ. كَانُوا يُعَامَلُونَ وَكَأَنَّهُمْ ضِعَافٌ أَذِلَّاءُ، وَأَرَادَ أَنْ يَثْأَرَ لِذَلِكَ. أَرَادَ أَنْ يَهْزِمَهُمْ.

انْطَلَقَتْ أَمَامَهُمْ إِحْدَى الطَّلَقَاتِ النَّارِيَّةِ، وَعَلَى الْفَوْرِ تَبِعَتْهَا طَلَقَاتٌ أُخْرَى. وبَعْدَ قَلِيلٍ بَدَأَتْ كَتِيبَتُهُ تُطْلِقُ النِّيرَانَ. اسْتَقَرَّ حَاجِزٌ كَثِيفٌ مِنَ الدُّخَانِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.كَانَ هنري يُحَارِبُ بِبَسَالَةٍ، بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعِي أَنَّهُ وَاقِفٌ. وَحِينَمَا فَقَدَ تَوَازُنَهُ وَسَقَطَ أَرْضًا، هَبَّ وَاقِفًا عَلَى الْفَوْرِ. ارْتَفَعَتْ حَرَارَةُ أُسْطُوَانَةِ بُنْدُقِيَّتِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَتَحَمَّلَهَا فِي أَيِّ يَوْمٍ آخَرَ، لَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي إِطْلَاقِ النِّيرَانِ الْيَوْمَ.

ظَلَّ يُقَاتِلُ وَيُطْلِقُ النِّيرَانَ مِنْ بُنْدُقِيَّتِهِ حَتَّى بَعْدَ تَوَقُّفِ الْجَمِيعِ. كَانَ كُلُّ تَرْكِيزِهِ مُنْصَبًّا عَلَى الْقِتَالِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَلْحَظِ الْهُدُوءَ الَّذِي سَادَ الْمَكَانَ. وَأَخِيرًا سَمِعَ ضَحِكَةً عَالِيَةً وَصَوْتًا بَدَتْ عَلَيْهِ الدَّهْشَةُ.

صَاحَ أَحَدُ الْجُنُودِ: «أَيُّهَا الْأَحْمَقُ! أَلَمْ تَتَعَلَّمْ أَنْ تُوقِفَ الضَّرْبَ عِنْدَمَا لَا يَكُونُ هُنَاكَ مَا تُصَوِّبُ تِجَاهَهُ؟»

الْتَفَتَ هنري ونَظَرَ إِلَى رِفَاقِهِ. كَانُوا جَمِيعًا يُحَدِّقُونَ فِيهِ فِي دَهْشَةٍ. وعِنْدَمَا نَظَرَ إِلَى الْأَمَامِ مَرَّةً أُخْرَى، رَأَى أَرْضًا خَالِيَةً يَعْلُوهَا الدُّخَانُ. بَدَا عَلَيْهِ الِارْتِبَاكُ لَحْظَةً، ثُمَّ انْتَبَهَ إِلَى مَا كَانَ يَرَى.

قَالَ هنري: «أُوه.»

عَادَ هنري إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَأَلْقَى بِثِقْلِهِ عَلَى الْأَرْضِ. كَانَ الْمُلَازِمُ يَصِيحُ فِي حَمَاسٍ، وَقَالَ لهنري: «لَوْ كَانَ لَدَيَّ عَشَرَةُ آلافِ قِطٍّ بَرِّيٍّ مِثْلِكَ، لَرَبِحْتُ هَذِهِ الْحَرْبَ فِي أُسْبُوعٍ وَاحِدٍ.»

غَمْغَمَ بَعْضُ الْجُنُودِ، وَنَظَرُوا إِلَى هنري فِي دَهْشَةٍ. تَقَدَّمَ ويلسون نَحْوَهُ وَسَأَلَهُ: «هَلْ أَنْتَ بِخَيْرٍ يَا فليمنج؟ أَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ؟ أَلَمْ يُصِبْكَ مَكْرُوهٌ؟»

رَدَّ هنري فِي صُعُوبَةٍ: «كَلَّا.»

أَدْرَكَ هنري أَنَّهُ كَانَ يُحَارِبُ كَالْحَيَوَانِ، وَأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ صَعْبًا. لَقَدْ بَذَلَ جُهْدًا لِيَتَغَلَّبَ عَلَى خَوْفِهِ، وَالْآنَ أَصْبَحَ يَسْتَحِقُّ لَقَبَ الْبَطَلِ. إِنَّهُ حَتَّى لَمْ يُلَاحِظْ حُدُوثَ ذَلِكَ.

تَمَدَّدَ هنري عَلَى الْأَرْضِ، وَأَخَذَ يَسْتَمْتِعُ بِنَظَرَاتِ الْآخَرِينَ لَهُ مِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ. كَانَتْ وُجُوهُهُمْ مُتَّسِخَةً مِنْ أَثَرِ الْبَارُودِ. كَانُوا يَتَصَبَّبُونَ عَرَقًا، وَيَتَنَفَّسُونَ بِصُعُوبَةٍ.

قَالَ الْمُلَازِمُ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ: «أَحْسَنْتُمْ!» كَانَ سَعِيدًا لِلْغَايَةِ بِأَدَاءِ الْكَتِيبَةِ، وَأَخَذَ يَسِيرُ بَيْنَهُمْ ذَهَابًا وَإِيَابًا. كَانَ دَائِمَ الْحَرَكَةِ مُتَحَمِّسًا، بَلْ كَانَ يَضْحَكُ أَحْيَانًا.

قَالَ أَحَدُ الْجُنُودِ: «أُرَاهِنُ أَنَّ الْجَيْشَ لَنْ يَرَى كَتِيبَةً مِثْلَنَا أَبَدًا!»

قَالَ آخَرُ: «مِنْ دُونِ شَكٍّ!»

وقَالَ ثَالِثٌ: «كُلَّمَا ضَغَطُوا عَلَيْنَا، أَخْرَجُوا أَفْضَلَ مَا لَدَيْنَا.»

قَالَ آخَرُ: «لَقَدْ فَقَدُوا رِجَالًا كَثِيرِينَ.»

رَدَّ آخَرُ: «هَذَا صَحِيحٌ، وَلَوْ عَادُوا مَرَّةً أُخْرَى لَفَقَدُوا الْمَزِيدَ.»

كَانَ لَا يَزَالُ هُنَاكَ ضَجِيجٌ فِي الْغَابَةِ. وَمِنْ بَعِيدٍ بَيْنَ الْأَشْجَارِ جَاءَ صَوْتُ قَعْقَعَةِ إِطْلَاقِ النِّيرَانِ. تَصَاعَدَتْ غَيْمَةٌ دَاكِنَةٌ مِنَ الدُّخَانِ إِلَى السَّمَاءِ بِاتِّجَاهِ الشَّمْسِ الَّتِي كَانَتْ تُشْرِقُ وَسْطَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ.

الفصل الحادي والعشرون

حِوَارٌ

كَانَ أَمَامَ الْجُنُودِ غَيْرِ الْمُنَظَّمِينَ دَقَائِقُ قَلِيلَةٌ لِيَسْتَرِيحُوا، لَكِنْ تَعَالَتْ أَصْوَاتُ الْقِتَالِ فِي الْغَابَةِ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ. بَدَا وَكَأَنَّ الْأَشْجَارَ تَرْتَجِفُ وَالْأَرْضُ تَهْتَزُّ مِنْ تَدَافُعِ الرِّجَالِ. أَنْصَتَتْ كَتِيبَةُ هنري إِلَى أَصْوَاتِ الصَّخَبِ.

كَانَ الْجَمِيعُ ظِمَاءً، وَقَالَ ويلسون إِنَّهُ سَمِعَ عَنْ جَدْوَلِ مَاءٍ قَرِيبٍ، وَتَطَوَّعَ لِلذَّهَابِ وَإِحْضَارِ الْمَاءِ. عَرَضَ هنري الْمُسَاعَدَةَ، وَعَلَى الْفَوْرِ أُلْقِيَتْ إِلَيْهِمْ قِرَبُ الْمِيَاهِ.

قَالَ رَجُلٌ: «امْلَأْ قِرْبَتِي؟»

وَقَالَ آخَرُ: «وَأَنَا أَيْضًا.»

وَقَالَ آخَرُونَ: «وَنَحْنُ أَيْضًا.»

غَادَرَ هنري وويلسون يَحْمِلَانِ الْعَدِيدَ مِنَ القِرَبِ، وظَلَّا يَبْحَثَانِ لبَعْضَ الْوَقْتِ، لَكِنْ عِنْدَمَا لَمْ يَجِدَا جَدْوَلَ المَاءِ، قَرَّرَا الْعَوْدَةَ.

وَمِنْ مَكَانِهِمَا، اسْتَطَاعَا رُؤْيَةَ صُورَةٍ أَوْضَحَ لِمَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَا فِيهِ مَعَ كَتِيبَتِهِمَا. اسْتَطَاعَا رُؤْيَةَ الْعَدِيدِ مِنْ سُحُبِ الدُّخَانِ الدَّاكِنَةِ حَيْثُ تُحَارِبُ الْكَتَائِبُ الْأُخْرَى، وَاسْتَطَاعَا أَيْضًا رُؤْيَةَ جُزْءٍ مِنْ مَنْزِلٍ فِيمَا وَرَاءَ الْأَشْجَارِ يَحْتَرِقُ وَيَتَصَاعَدُ مِنْهُ الدُّخَانُ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَأَيَا كَتِيبَتَهُمَا. كَانَ التَّلُّ خَلْفَهُمَا مُكْتَظًّا بِالْكَتَائِبِ الْمُتَقَهْقِرَةِ.

نَظَرَ هنري وويلسون إِلَى الْغَابَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُمَا، فَوَجَدَا جِنْرَالًا وَمَعَهُ مُسَاعِدُوه يَمْتَطُونَ جِيَادَهُمْ. مَرُّوا عَلَى جُنْدِيٍّ جَرِيحٍ دُونَ أَنْ يَتَوَقَّفُوا. وَبَعْدَ لَحْظَةٍ تَوَجَّهَ ضَابِطٌ آخَرُ عَلَى جَوَادِهِ نَحْوَ الجِنْرَالِ. يَبْدُو أَنَّ أَحَدًا لَمْ يَلْمَحْ هنري وَصَدِيقَهُ؛ وَلِذَا ظَلَّا قَرِيبَيْنِ يُحَاوِلَانِ الِاسْتِمَاعَ لِمَا يَقُولُهُ الجِنْرَالُ.

قَالَ الجِنْرَالُ: «تَسْتَعِدُّ قُوَّاتُ الْعَدُوِّ هُنَاكَ لِشَنِّ هُجُومٍ آخَرَ.» كَانَ يَتَحَدَّثُ فِي هُدُوءٍ وَكَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ عَنْ مَلَابِسِ الضَّابِطِ. «أَخْشَى أَنَّهُمْ سَيَخْتَرِقُونَ صُفُوفَنَا مَا لَمْ نَتَحَرَّكْ كَالرَّعْدِ لِإِيقَافِهِمْ.»

قَالَ الضَّابِطُ غَاضِبًا: «مِنَ الصَّعْبِ التَّصَدِّي لَهُمْ.»

قَالَ الجِنْرَالُ: «هَذَا مَا أَتَوَقَّعُهُ أَيْضًا.» ثُمَّ بَدَأَ يَتَحَدَّثُ سَرِيعًا وَبِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ مَع مُسَاعِدِيه. لَمْ يَسْمَعْ هنري وويلسون شَيْئًا آخَرَ إِلَى أَنْ سَأَلَ الجِنْرَالُ الضَّابِطَ: «أَيُّ الْكَتَائِبِ يُمْكِنُكَ الِاسْتِغْنَاءُ عَنْهَا؟»

فَكَّرَ الضَّابِطُ ثُمَّ قَالَ: «الْكَتِيبَةُ رَقْمُ ٣٠٤. إِنَّهُمْ عَدِيمُو الْجَدْوَى، يُحَارِبُونَ وَكَأَنَّهُمْ يَمْتَطُونَ بِغَالًا. يُمْكِنُنِي الِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُمْ بِسُهُولَةٍ.»

نَظَرَ هنري وويلسون أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ فِي دَهْشَةٍ؛ فَالْكَتِيبَةُ رَقْمُ ٣٠٤ هِيَ كَتِيبَتُهُمَا. وتَحَدَّثَ الجِنْرَالُ بَعْدَهَا بِحِدَّةٍ: «جَهِّزْ تِلْكَ الْكَتِيبَةَ إِذَنْ. سَأُرَاقِبُ الْمَعْرَكَةَ مِنْ هُنَا، وَأُصْدِرُ الْأَمْرَ بِتَوْقِيتِ الْبَدْءِ. سَوْفَ يَنْتَهِي الْأَمْرُ فِي غُضُونِ خَمْسِ دَقَائِقَ. لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ رَاكِبُو الْبِغَالِ سَيَنْجُونَ مِنْ ذَلِكَ.»

ابْتَسَمَ الضَّابِطُ والجِنْرَالُ وَهُمَا يَفْتَرِقَانِ. أَسْرَعَ هنري وويلسون بِالْعَوْدَةِ إِلَى كَتِيبَتِهِمَا وَالذُّعْرُ يَكْسُو وَجْهَيْهِمَا. وَمَعَ أَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَسْتَغْرِقْ سِوَى بِضْعِ دَقَائِقَ، شَعَرَ هنري وَكَأَنَّهُ تَقَدَّمَ فِي الْعُمُرِ سَنَوَاتٍ عَدِيدَةً.

أدرك هنري أَنَّه لا يَعْنِي أَيَّ شَيْءٍ لِلْجَيْشِ. تَحَدَّثَ الضَّابِطُ عَنْ كَتِيبَتِهِ وَكَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ عَنْ مِكْنَسَةٍ. وعِنْدَمَا عَادَا، أَخْبَرَا الْجَمِيعَ أَنَّهُمْ سَيُهَاجِمُونَ الْعَدُوَّ فِي غُضُونِ دَقَائِقَ.

قَالَ الْمُلَازِمُ وَقَدْ عَلَتْ وَجْهَهُ ابْتِسَامَةٌ: «هُجُومٌ؟ نَحْنُ نُقَاتِلُ الْآنَ إِذَنْ!»

رَأَى الرِّجَالُ شَخْصَيْنِ فَوْقَ صَهْوَتَيْ جَوَادَيْهِمَا عَلَى مَسَافَةٍ قَصِيرَةٍ؛ الْأَوَّلُ قَائِدُ الْكَتِيبَةِ، وَالثَّانِي الضَّابِطُ الَّذِي تَلَقَّى الْأَوَامِرَ مِنَ الجِنْرَالِ. كَانَا يَتَحَدَّثانِ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ، وَيُشِيرَانِ نَحْوَ الْكَتِيبَةِ.

بَدَأَ الضُّبَّاطُ فِي تَقْسِيمِ الرِّجَالِ إِلَى مَجْمُوعَاتٍ صَغِيرَةٍ. وَسُرْعَانَ مَا بَدَا كُلُّ فَرْدٍ فِي الْكَتِيبَةِ مَشْدُودَ الْقَامَةِ يَأْخُذُ نَفَسًا عَمِيقًا. كَانُوا يُرَاقِبُونَ الْغَابَةَ، وَأَحَاطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ضَجِيجُ الْمَعْرَكَةِ الْكُبْرَى بَيْنَ الْجَيْشَيْنِ. بَدَا سَائِرُ الْعَالَمِ مُنْشَغِلًا بِأَشْيَاءَ أُخْرَى. وكَانَ هَذَا الْقِتَالُ مِنْ نَصِيبِ تِلْكَ الْكَتِيبَةِ وَحْدَهَا.

نَظَرَ هنري وويلسون أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ. لَمْ يُخْبِرَا أَحَدًا بِالْحَدِيثِ الَّذِي دَارَ بَيْنَ الجِنْرَالِ وَالضَّابِطِ حَوْلَ كَتِيبَتِهِمَا، وَكَيْفَ أَنَّ حَيَاتَهُمْ لَا تُسَاوِي شَيْئًا. لَقَدْ شُبِّهُوا بِرَاكِبِي الْبِغَالِ. لَا يُتَوَقَّعُ أَنَّهُمْ سَيَنْجُونَ مِنْ تِلْكَ الْمُوَاجَهَةِ. لَكِنَّهُ سِرٌّ بَيْنَ هنري وويلسون، وَرَغْمَ هَذَا فَكِلَاهُمَا يَرَى الْخَوْفَ فِي وَجْهِ الْآخَرِ. نَظَرَ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ وَأَوْمَآ مُوَافِقَيْنِ عِنْدَمَا قَالَ جُنْدِيٌّ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْا بِنَبْرَةٍ خَائِفَةٍ: «سَيَلْتَهِمُونَنَا!»

الفصل الثاني والعشرون

عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْحَقْلِ

حَدَّقَ هنري النَّظَرَ فِي الْأَرْضِ أَمَامَهُ، وَبَدَا لَهُ أَنَّ الْأَشْجَارَ تُخْفِي وَرَاءَهَا كُلَّ مَظَاهِرِ الْخَوْفِ وَالرُّعْبِ. لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مَتَى بَدَأَتِ الْكَتِيبَةُ فِي الْقِتَالِ، لَكِنَّهُ رَأَى بِطَرْفِ عَيْنِهِ أَحَدَ الضُّبَّاطِ عَلَى جَوَادِهِ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْأَمَامِ. فَجْأَةً شَعَرَ هنري بِحَرَكَةِ الْجُنُودِ، وَتَقَدَّمَتِ الْكَتِيبَةُ إِلَى الْأَمَامِ شَيْئًا فَشَيْئًا كَجِدَارٍ يَسْقُطُ أَرْضًا. ظَلَّ هنري وَقْتًا قَلِيلًا يَتَحَرَّكُ بِقُوَّةِ الدَّفْعِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَوْعِبَ الْمَوْقِفَ. قَفَزَ وَبَدَأَ يَجْرِي يَائِسًا وَكَأَنَّهُ جُنْدِيٌّ فَقَدَ عَقْلَهُ.

جَاءَتْ صَيْحَاتُ الْعَدُوِّ وَطَلَقَاتُ النِّيرَانِ مِنْ بَيْنِ الْأَشْجَارِ. كَانَ الْجُنُودُ يَتَسَاقَطُونَ حَوْلَ هنري. وَسُرْعَانَ مَا وَصَلَتِ الْكَتِيبَةُ إِلَى مِنْطَقَةٍ خَالِيَةٍ مِنَ الْأَشْجَارِ حَيْثُ اسْتَطَاعَ هنري أَنْ يَرَى بِوُضُوحٍ أَكْبَرَ كُلَّ شَيْءٍ؛ كُلَّ وَرَقَةِ نَبَاتٍ، وَكُلَّ جِذْعِ شَجَرَةٍ بُنِّيٍّ، وَوُجُوهَ الْجُنُودِ بِنَظَرَاتِهِمُ الْمُحْدِقَةِ وَوُجُوهِهِمُ الَّتِي كَانَتْ تَتَصَبَّبُ عَرَقًا.

بَعْدَ الْجَرْيِ مَسَافَةً بَدَتْ وَكَأَنَّهَا أَمْيَالٌ، أَبْطَأَتِ الْكَتِيبَةُ ثُمَّ تَوَقَّفَتْ. وَعِنْدَهَا عَلَى الْفَوْرِ تَعَالَتْ أَصْوَاتُ النِّيرَانِ الْبَعِيدَةُ وَانْتَشَرَ الدُّخَانُ الْكَثِيفُ حَوْلَهُمْ.

اسْتَطَاعَ الْجُنُودُ بَعْدَ أَنْ تَوَقَّفُوا أَنْ يَرَوُا الرِّجَالَ الَّذِينَ سَقَطُوا قَتْلَى، أَوِ الْجَرْحَى الَّذِينَ كَانُوا يَتَأَلَّمُونَ. وَلِلَحْظَةٍ بَدَا الْجُنُودُ فِي حَالَةِ ذُهُولٍ غَيْرَ قَادِرِينَ عَلَى الْحَرَكَةِ. كَانَ التَّوَقُّفُ غَرِيبًا والصَمْتُ غَرِيبًا أَيْضًا. بَعْدَهَا صَاحَ الْمُلَازِمُ حَتَّى تَعَالَى صَوْتُهُ عَلَى كُلِّ الْأَصْوَاتِ الْأُخْرَى: «هَيَّا أَيُّهَا الْحَمْقَى! هَيَّا! لَا يُمْكِنُكُمُ الْبَقَاءُ هُنَا. وَاصِلُوا التَّحَرُّكَ!» وَزَادَ عَلَيْهِ كَلَامًا آخَرَ، لَكِنَّ مُعْظَمَهُ لَمْ يَكُنْ مَفْهُومًا.

حَدَّقَ الْجُنُودُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَصْرُخُ، وَأَخِيرًا قَفَزَ ويلسون إِلَى الْأَمَامِ وَنَزَلَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَأَطْلَقَ نِيرَانَ بُنْدُقِيَّتِهِ فِي الْغَابَةِ. بَدَا أَنَّ هَذَا أَفَاقَ الْجُنُودَ فَتَوَقَّفُوا عَنِ التَّجَمْهُرِ كَقَطِيعِ الْأَغْنَامِ. بَدَا أَنَّهُمْ تَذَكَّرُوا أَسْلِحَتَهُمْ، وَبَدَءُوا يُطْلِقُونَ النَّارَ فَجْأَةً. وَبِتَشْجِيعٍ مِنَ الضُّبَّاطِ، بَدَأَ الْجُنُودُ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى الْأَمَامِ رُوَيْدًا رُوَيْدًا، يَتَوَقَّفُونَ كُلَّ بِضْعِ خُطُوَاتٍ لِيُطْلِقُوا النَّارَ وَيُعِيدُوا تَعْبِئَةَ أَسْلِحَتِهِمْ.

كَانَ الْعَدُوُّ يُقَاتِلُ بِضَرَاوَةٍ لِيَمْنَعَ الْكَتِيبَةَ مِنَ التَّقَدُّمِ، وَبَدَا أَنَّ الْكَتِيبَةَ لَا تَسْتَطِيعُ التَّقَدُّمَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا. انْحَنَى الرِّجَالُ خَلْفَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ وَانْتَظَرُوا كَأَنَّ شَيْئًا يُهَدِّدُهُمْ. نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي ذُعْرٍ مَذْهُولِينَ مِمَّا فَعَلُوا. كَانَ الْمَوْقِفُ بِرُمَّتِهِ مُرْبِكًا لِلْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ.

ومَا إِنْ تَوَقَّفُوا حَتَّى بَدَأَ الْمُلَازِمُ يَصْرُخُ فِيهِمْ مَرَّةً أُخْرَى. أَمْسَكَ بِذِرَاعِ هنري، وصَاحَ: «هَيَّا أَيُّهَا الْأَحْمَقُ! سَوْفَ يُطْلِقُونَ النَّارَ عَلَيْنَا لَوْ بَقِينَا هُنَا. لَيْسَ أَمَامَنَا سِوَى عُبُورِ هَذَا الْحَقْلِ هُنَاكَ.»

أَشَارَ هنري قَائِلًا: «عُبُورُ هَذَا؟»

صَاحَ الضَّابِطُ: «نَعَم، اعْبُرُوا هَذَا الْحَقْلَ! لَا يُمْكِنُنَا الْبَقَاءُ هُنَا. هَيَّا!»

جَرَى الِاثْنَانِ مَعًا وَخَلْفَهُمَا ويلسون. وصَرَخَ الرِّجَالُ الثَّلَاثَةُ فِي الْجُنُودِ: «هَيَّا! هَيَّا!»

تَرَدَّدَ أَفْرَادُ الْكَتِيبَةِ هُنَيْهَةً، وَمَعَ إِحْدَى الصَّرَخَاتِ الطَّوِيلَةِ رَكَضُوا إِلَى الْأَمَامِ وَبَدَءُوا رِحْلَتَهُمُ الْجَدِيدَةَ، بَيْنَمَا تَحَرَّكَ عَدَدٌ قَلِيلٌ مِمَّنْ تَبَقَّى مِنَ الْكَتِيبَةِ قَرِيبًا مِنَ الْعَدُوِّ. زَادَتْ سُرْعَةُ إِطْلَاقِ النِّيرَانِ، وَانْتَشَرَتْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ سَحَابَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الدُّخَانِ الْأَزْرَقِ.

أَسْرَعَ هنري نَحْوَ الْغَابَةِ قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ إِحْدَى الطَّلَقَاتِ وَهُوَ يَخْفِضُ رَأْسَهُ وَيَكَادُ يُغْمِضُ عَيْنَيْهِ. كَانَ الْمَشْهَدُ حَوْلَهُ غَيْرَ وَاضِحٍ.

شَعَرَ هنري وَهُوَ يَجْرِي بِشَغَفٍ وَوَلَعٍ حَزِينٍ بِالرَّايَةِ الْقَرِيبَةِ مِنْهُ. لَقَدْ فَكَّرَ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَنَّها جَمِيلَةٌ وَقَوِيَّةٌ. قَطْعًا لَنْ يُصِيبَهَا أَيُّ أَذًى. وَظَلَّ هنري عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الرَّايَةِ وَكَأَنَّها قَادِرَةٌ عَلَى حِمَايَتِهِ.

وَوَسْطَ التَّدَافُعِ الْمَحْمُومِ، رَأَى هنري الْجُنْدِيَّ الَّذِي يَحْمِلُ الرَّايَةَ يَتَرَاجَعُ فَجْأَةً وَيَسْقُطُ عَلَى الْأَرْضِ.

قَفَزَ هنري وَأَمْسَكَ بالسَّارِيَةِ. وَفِي نَفْسِ اللَّحْظَةِ أَمْسَكَ ويلسون بالرَّايَةِ مِنَ الْجَانِبِ الْآخَرِ.

الفصل الثالث والعشرون

الرَّايَةُ

عِنْدَمَا الْتَفَتَ هنري وويلسون وَهُمَا يُمْسِكَانِ الرَّايَةَ معًا، وَجَدَا أَنَّ مُعْظَمَ أَفْرَادِ الْكَتِيبَةِ قَدْ لَقُوا حَتْفَهُمْ. لَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ، بَلْ كَانَ النَّاجُونَ يَبْدَءُونَ فِي الِانْسِحَابِ أيضًا. كَانَ الْعَدِيدُ مِنَ الضُّبَّاطِ يُعْطُونَ الْأَوَامِرَ، وَيَصِيحُونَ وَسْطَ ضَجِيجِ الْمَعْرَكَةِ.

صَاحَ الْمُلَازِمُ: «مَاذَا تَفْعَلَانِ؟»

كَانَ هنري وويلسون يَتَشَاجَرَانِ عَلَى الرَّايَةِ، وَكِلَاهُمَا يُرِيدُ حَمْلَهَا. وَأَخِيرًا دَفَعَ هنري ويلسون بَعِيدًا.

عَادَتِ الْكَتِيبَةُ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْأَشْجَارِ، وَعِنْدَمَا وَصَلُوا إِلَى الْمَكَانِ الْمَفْتُوحِ الَّذِي بَدَءُوا مِنْهُ بَدَا أَنَّ مَجْمُوعَاتٍ مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ تُحِيطُ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَتَمَلَّكَ الذُّهُولُ وَالْيَأْسُ الْكَثِيرِينَ.

وَاصَلَ هنري التَّقَدُّمَ تَعْلُو وَجْهَهُ نَظْرَةٌ غَاضِبَةٌ. كَانَ غَاضِبًا لِأَنَّ الضَّابِطَ قَالَ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَاكِبُو بِغَالٍ، وَكَانَ أَكْثَرَ غَضَبًا لِأَنَّهُمُ اضْطُرُّوا لِلِانْسِحَابِ. شَعَرَ بِالْكَرَاهِيَةِ تِجَاهَ الضَّابِطِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ — حَتَّى — يَعْرِفُهُ، لَكِنَّهُ نَعَتَهُ بِذَلِكَ. أَرَادَ هنري أَنْ تنتصر كَتِيبَتُهُ فِي تِلْكَ الْمَوْقِعَةِ لِيَعُودَ إِلَى ذَلِكَ الضَّابِطِ وَيَقُولَ لَهُ: «نَحْنُ رَاكِبُو بِغَالٍ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟» لَكِنَّهُ الْآنَ يُدْرِكُ أَنَّ النَّصْرَ لَنْ يَكُونَ حَلِيفَهُمْ، وَأَنَّ عَلَيْهِ التَّخَلِّيَ عَنْ أَحْلَامِهِ بِالثَّأْرِ مِنَ الضَّابِطِ.

انْتَبَهَ هنري إِلَى كِبْرِيَائِهِ وَظَلَّ يَرْفَعُ الرَّايَةَ عَالِيًا. صَرَخَ هُوَ وَالْمُلَازِمُ فِي الْجُنُودِ لِيُوَاصِلُوا الْقِتَالَ، لَكِنَّ الْجُنُودَ كَانُوا أَشْبَهَ بِآلَاتٍ مُعَطَّلَةٍ. عَجَزَ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ عَنْ مُوَاصَلَةِ الْقِتَالِ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا زُمَلَاءَهُمْ يَسْقُطُونَ قَتْلَى وَجَرْحَى.

انْتَشَرَ الدُّخَانُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمَعَ حُدُوثِ انْقِسَامٍ مُفَاجِئٍ فِي إِحْدَى السُّحُبِ، رَأَى هنري مَجْمُوعَةً مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ. كَانُوا يَصِيحُونَ وَيُقَاتِلُونَ بَيْنَمَا كَتِيبَةُ هنري تَتَقَهْقَرُ.

بَدَتِ الْمَعْرَكَةُ وَكَأَنَّهَا سَتَسْتَمِرُّ إِلَى الْأَبَدِ. فَقَدَ الْكَثِيرُ مِنَ الْجُنُودِ صَوَابَهُمْ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ، وَأَصْبَحُوا لَا يُمَيِّزُونَ مَكَانَ الْعَدُوِّ أَوْ مَصْدَرَ الطَّلَقَاتِ. كَانُوا يَفِرُّونَ فِي جَمِيعِ الِاتِّجَاهَاتِ بَحْثًا عَنْ مَكَانٍ لِلْهَرَبِ، وَأَثْنَاءَ هَذَا كُلِّهِ يَتَسَاقَطُ الْقَتْلَى مِنْ حَوْلِهِمْ.

سَارَ هنري بِخُطًى وَاثِقَةٍ وَسْطَ الْجُنُودِ، وَرَفَعَ الرَّايَةَ عَالِيًا. بَدَا وَكَأَنَّهُ تَوَقَّعَ أَنْ يَدْفَعَهُ أَحَدٌ أَرْضًا، فَكَانَ يَسْتَخْدِمُ الرَّايَةَ لِتُسَاعِدَهُ عَلَى الصُّمُودِ. وَمِنْ دُونِ أَنْ يَنْتَبِهَ، كَانَ وَاقِفًا كَالْأَبْطَالِ الَّذِينَ رَآهُمْ وَتَخَيَّلَهُمْ.

اقْتَرَبَ مِنْهُ ويلسون وَقَالَ: «أَعْتَقِدُ أَنَّهَا النِّهَايَةُ يَا هنري.»

رَدَّ هنري دُونَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى صَدِيقِهِ: «اصْمُتْ أَيُّهَا الْأَحْمَقُ!»

حَاوَلَ الضُّبَّاطُ تَوْزِيعَ الْجُنُودِ فِي دَائِرَةٍ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا مُوَاجَهَةَ الْعَدُوِّ الَّذِي يَقْتَرِبُ. كَانَتِ الْأَرْضُ غَيْرَ مُسْتَوِيَةٍ وَمُشَقَّقَةً. وتَسَلَّلَ الْجُنُودُ دَاخِلَ الْخَنَادِقِ مُحَاوِلِينَ الِاخْتِبَاءَ خَلْفَ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ يَصُدُّ عَنْهُمُ الطَّلَقَاتِ.

رَأَى هنري أَنَّ الْمُلَازِمَ كَانَ وَاقِفًا الْآنَ فِي سُكُونٍ مُتَّكِئًا عَلَى سَيْفِهِ. وسَادَ شُعُورٌ غَرِيبٌ فِي تِلْكَ الْفَتْرَةِ الْقَصِيرَةِ. بَدَا الْمُلَازِمُ كَالطِّفْلِ الَّذِي اسْتَنْزَفَ دُمُوعَهُ وَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ مَاذَا يَفْعَلُ. كَانَ يُفَكِّرُ وَيُغَمْغِمُ لِنَفْسِهِ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ.

تَصَاعَدَتْ بَعْضُ الْأَدْخِنَةِ حَوْلَ الْكَتِيبَةِ، بَيْنَمَا انْتَظَرَ الْجُنُودُ الْمُخْتَبِئُونَ مِنَ الطَّلَقَاتِ ارْتِفَاعَ الدُّخَانِ لِيَرَوْا لِآخِرِ مَرَّةٍ مَاذَا سَيَحْدُثُ لَهُمْ.

الفصل الرابع والعشرون

انْتِصَارٌ مُؤَقَّتٌ

فَجْأَةً قَطَعَ صَمْتَ الْجُنُودِ صَوْتُ الْمُلَازِمِ الْمُنْفَعِلِ عِنْدَمَا قَالَ: «هَا هُمْ قَادِمُونَ!» وَتَاهَتْ كَلِمَاتُهُ الْأُخْرَى وَسْطَ ضَجِيجِ الطَّلَقَاتِ.

نَظَرَ هنري إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُلَازِمُ، وَرَأَى جُنُودَ الْعَدُوِّ يَقْتَرِبُونَ. كَانُوا قَرِيبِينَ جِدًّا، حَتَّى إِنَّهُ رَأَى وُجُوهَهُمْ وَزِيَّهُمُ الرَّمَادِيَّ الَّذِي بَدَا جَدِيدًا.

كَانَتْ قُوَّاتُ الْعَدُوِّ تَتَقَدَّمُ بِحَذَرٍ وَبَنَادِقُهُمْ مُسْتَعِدَّةٌ لِإِطْلَاقِ النِّيرَانِ. وعِنْدَمَا صَاحَ الْمُلَازِمُ، وَبَدَأَتْ كَتِيبَةُ هنري فِي إِطْلَاقِ النِّيرَانِ، بَدَا وَكَأَنَّ جُنُودَ الْعَدُوِّ بُوغِتُوا وَأُخِذُوا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ.

تَبَادَلَ الْجَيْشَانِ الضَّرَبَاتِ، وَاسْتَمَرَّ الْقَصْفُ الْغَاضِبُ وَالسَّرِيعُ مِنَ الْجَانِبَيْنِ. كَانَ الْجُنُودُ فِي كَتِيبَةِ هنري — بِزِيِّهِمُ الْأَزْرَقِ — مُتَلَهِّفِينَ لِلثَّأْرِ. تَوَارَى هنري بَعْضَ الْوَقْتِ. لَمْ يَكُنْ يَسْتَطِيعُ رُؤْيَةَ الْعَدُوِّ بِوُضُوحٍ، لَكِنْ بَدَا أَنْ هُنَاكَ الْكَثِيرِينَ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ يَتَقَدَّمُونَ إِلَى الْأَمَامِ شَيْئًا فَشَيْئًا. جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ حَزِينًا وَالرَّايَةُ بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ.

وعِنْدَمَا لَاحَظَ هنري الْغَضَبَ الشَّدِيدَ الَّذِي يَجْتَاحُ أَصْدِقَاءَهُ، أَدْرَكَ أَنَّهُ إِذَا انْتَصَرَ العَدُوُّ حَقًّا، فَسَيَكُونُ ذَلِكَ نَصْرًا عَسِيرًا وَمُؤْلِمًا.

لَكِنْ بَدَأَتْ ضَرَبَاتُ الْعَدُوِّ تَضْعُفُ، وَتَضَاءَلَ عَدَدُ الطَّلَقَاتِ الْقَادِمَةِ مِنْ جِهَتِهِمْ. وَأَخِيرًا عِنْدَمَا تَوَقَّفَ الرِّجَالُ قَلِيلًا لِإِلْقَاءِ نَظْرَةٍ، لَمْ يَرَوْا سِوَى الدُّخَانِ الدَّاكِنِ يَمْلَأُ الْمَكَانَ. وَقَفَ الْجُنُودُ، وَحَدَّقُوا فِي الْخَلَاءِ حَوْلَهُمْ، فَرَأَوُا الأَرْضَ خَالِيَةً مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ عَدَا جُثَثَ الْقَتْلَى.

عِنْدَ رُؤْيَةِ هَذَا الْمَشْهَدِ، انْطَلَقَ الْكَثِيرُ مِنَ الْجُنُودِ مِنْ مَخَابِئِهِمْ، وَرَقَصُوا رَقْصَةَ فَرَحٍ غَرِيبَةٍ. اتَّقَدَتْ عُيُونُهُمْ، وَانْطَلَقَ هُتَافٌ أَجَشُّ مِنْ بَيْنَ شِفَاهِهِمُ الْجَافَّةِ.

كَانُوا قَدْ أَوْشَكُوا أَنْ يُصَدِّقُوا أَنَّهُمْ بِلَا جَدْوَى، وَأَنَّهُمْ لَنْ يَصْمُدُوا أَمَامَ الْعَدُوِّ، لَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا كَانُوا عَلَى وَشْكِ خَسَارَةِ هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ الصَّغِيرَةِ، أَدْرَكُوا أَنَّ حَجْمَ الْجَيْشِ لَيْسَ مُهِمًّا. لَقَدْ ثَأَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْعَدُوِّ وَانْتَصَرُوا عَلَيْهِ.

نَظَرَ الْجُنُودُ حَوْلَهُمْ فِي تَفَاخُرٍ، وَشَعَرُوا بِالثِّقَةِ فِي أَسْلِحَتِهِمُ الْبَسِيطَةِ. لَقَدْ كَانُوا رِجَالًا بِحَقٍّ.

الفصل الخامس والعشرون

رَأْيُ الجِنْرَالِ

كَانَتِ الْأَرْضُ الْخَلَاءُ تُحِيطُ بِالْجُنُودِ، وَمِنْ بَعِيدٍ تَعَالَتِ الْعَدِيدُ مِنَ الْأَصْوَاتِ، لَكِنْ عَمَّ الْهُدُوءُ ذَلِكَ الْجُزْءَ مِنَ الْحَقْلِ. شَعَرُوا بِالْحُرِّيَّةِ، وَتَنَهَّدُوا تَنْهِيدَةَ ارْتِيَاحٍ، وَتَجَمَّعُوا لِلْعَوْدَةِ إِلَى صُفُوفِهِمْ حَيْثُ يُخَيِّمُ بَقِيَّةُ الْجَيْشِ.

فِي هَذَا الْجُزْءِ الْأَخِيرِ مِنْ رِحْلَتِهِمْ، بَدَأَتْ تَبْدُو عَلَى الرِّجَالِ انْفِعَالَاتٌ غَرِيبَةٌ؛ كَانُوا يَسِيرُونَ فِي عَجَلَةٍ وَقَلَقٍ، وَبَعْضُ الْجُنُودِ الَّذِينَ لَمْ يُظْهِرُوا شُعُورًا مُحَدَّدًا فِي خِضَمِّ الْقِتَالِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا الْآنَ إِخْفَاءَ شُعُورِهِمْ بِالْقَلَقِ. رُبَّمَا كَانُوا يَخْشَوْنَ إِطْلَاقَ النِّيرَانِ عَلَيْهِمُ الْآنَ بَعْدَ أَنِ انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ الرَّئِيسِيَّةُ وَأَصْبَحُوا قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنَ الْأَمَانِ.

حِينَ اقْتَرَبَ هنري وَأَصْدِقَاؤُهُ مِنْ صُفُوفِ الْجَيْشِ، سَخِرَ مِنْهُمْ بَعْضُ الْجُنُودِ فِي كَتِيبَةٍ أُخْرَى أَثْنَاءَ مُرُورِهِمْ بِهِمْ.

صَاحَ أَحَدُهُمْ: «أَيْنَ كُنْتُمْ؟»

وَقَالَ آخَرُ: «لِمَاذَا لَمْ تَمْكُثُوا هُنَاكَ؟»

وَقَالَ ثَالِثٌ: «تَعُودُونَ لِلْبَيْتِ الْآنَ أَيُّهَا الصِّغَارُ؟»

لَمْ يَرُدَّ أَحَدٌ عَلَيْهِمْ بِاسْتِثْنَاءِ جُنْدِيٍّ وَاحِدٍ تَحَدَّاهُمْ لِلشِّجَارِ بِالْأَيْدِي، لَكِنَّ الْمُلَازِمَ حَالَ دُونَ ذَلِكَ. غَضِبَ هنري مِنْ تِلْكَ التَّعْلِيقَاتِ، وَرَأَى أَنَّ كَثِيرِينَ فِي كَتِيبَتِهِ كَانُوا يَسِيرُونَ فِي تَثَاقُلٍ مُفَاجِئٍ وَكَأَنَّهُمْ يَشْعُرُونَ بِالذَّنْبِ.

حِينَ وَصَلَ الْجُنُودُ إِلَى مَوْقِعِهِمُ الْقَدِيمِ، اسْتَدَارُوا وَأَلْقَوْا نَظْرَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي دَارَ فِيهَا الْقِتَالُ. شَعَرَ هنري بِالدَّهْشَةِ؛ فَالْمِسَاحَةُ كَانَتْ صَغِيرَةً لِلْغَايَةِ. تَعَجَّبَ هنري مِنْ

وُقُوعِ كُلِّ تِلْكَ الْأَحْدَاثِ عَلَى مِسَاحَةٍ صَغِيرَةٍ كَهَذِهِ، وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِالْفَخْرِ عَنْ أَدَائِهِ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ الْأَخِيرَةِ.

أَثْنَاءَ اسْتِرَاحَةِ الْجُنُودِ، جَاءَ الضَّابِطُ الَّذِي كَانَ قَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهِمْ رَاكِبِي الْبِغَالِ عَلَى جَوَادِهِ. كَانَ قَدْ فَقَدَ قُبَّعَتَهُ، وَتَفَرَّقَ شَعْرُهُ فِي غَيْرِ نِظَامٍ. كَانَ وَجْهُهُ مُتَجَهِّمًا مِنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ، وَبَدَأَ عَلَى الْفَوْرِ يَصِيحُ فِي الْجُنُودِ.

صَرَخَ فِيهِمْ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتُمُوهُ؟ تَوَقَّفْتُمْ وَأَنْتُمْ عَلَى بُعْدِ مِائَةِ قَدَمٍ مِنْ تَحْقِيقِ انْتِصَارٍ سَاحِقٍ. لَوْ كُنْتُمْ قَدْ تَقَدَّمْتُمْ مِائَةَ قَدَمٍ فَقَطْ، لَكَانَ هُجُومُكُمْ سَاحِقًا.»

الْتَفَتَ الْجُنُودُ إِلَى قَائِدِهِمُ الَّذِي كَانَ عَلَى وَشْكِ الرَّدِّ. بَدَا وَكَأَنَّ الضَّابِطَ أَهَانَهُ، لَكِنْ تَغَيَّرَ أُسْلُوبَهُ عَلَى الْفَوْرِ، وَهَزَّ كَتِفَيْهِ.

قَالَ بِنَبْرَةٍ هَادِئَةٍ: «لَقَدْ فَعَلْنَا مَا فِي وُسْعِنَا يَا جِنْرَالُ.»

صَاحَ الضَّابِطُ: «مَا فِي وُسْعِكُمْ؟ لَمْ يَكُنْ هَذَا كَافِيًا، أَلَيْس كَذَلِكَ؟ كَاَن يُفْتَرَض بِكُمْ أَنْ تَلْفِتُوا انْتِبَاهَ الْعَدُوِّ، لَكِنَّكُمْ أَخْفَقْتُمْ تَمَامًا.»

ثم اسْتَدَارَ بِجَوَادِهِ، وَانْطَلَقَ بَعِيدًا. غَمْغَمَ قَائِدُ الْكَتِيبَةِ بِكَلِمَاتٍ غَاضِبَةٍ. ورَفَعَ الْمُلَازِمُ — الَّذِي كَانَ يَسْتَمِعُ لِحَدِيثِ الجِنْرَالِ فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ — صَوْتَهُ، وَقَالَ: «أَيًّا كَانَتْ صِفَةُ الرَّجُلِ ... سَوَاءٌ أَكَانَ جِنْرَالًا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؛ لَوْ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَانَ لَمْ يُبْلُوا بَلَاءً حَسَنًا، فَهُوَ أَحْمَقُ.»

الفصل السادس والعشرون

الجِنْرَالَات

انْتَشَرَتِ الْأَنْبَاءُ بَيْنَ الْجُنُودِ بِأَنَّ أَفْرَادَ الْكَتِيبَةِ نُعِتُوا بِالْفَشَلِ. أَكَّدَتْ كُلُّ الْكَتَائِبِ الْأُخْرَى أَنَّ الجِنْرَالَ قَدِ ارْتَكَبَ خَطَأً فَادِحًا. لَاحَظَ هنري أَنَّ أَصْدِقَاءَهُ بَدَوْا كَالْحَيَوَانَاتِ الْمُنْهَزِمَةِ. نَظَرَ ويلسون إِلَيْهِ، وَقَالَ: «أَتَسَاءَلُ مَاذَا يُرِيدُ مِنَّا. لَا بُدَّ أَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّنَا ذَهَبْنَا هُنَاكَ نَلْعَبُ!»

وَمَعَ أَنَّ هنري كَانَ غَاضِبًا، فَإِنَّهُ قَرَّرَ أَنْ يُحَافِظَ عَلَى هُدُوئِهِ.

قَالَ: «عَلَى الْأَرْجَحِ لَمْ يَرَ الجِنْرَالُ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرَكَةِ. الْأَرْجَحُ أَنَّهُ شَعَرَ بِالْغَضَبِ، وَقَرَّرَ أَنَّنَا كُنَّا قَطِيعًا مِنَ الْغَنَمِ لِأَنَّنَا لَمْ نَفْعَلْ مَا أَرَادَهُ تَحْدِيدًا. إِنَّهُ سُوءُ حَظٍّ لَا أَكْثَرَ!»

رَدَّ صَدِيقَهُ وَقَدْ بَدَا أَنَّهُ يَشْعُرُ بِإِهَانَةٍ بَالِغَةٍ: «عَلَيَّ الْإِقْرَارُ بِذَلِكَ؛ لَا جَدْوَى مِنْ أَنْ تُحَارِبَ مِنْ أَجْلِ الْآخَرِينَ عِنْدَمَا يَكُونُ كُلُّ مَا تَفْعَلُهُ خَاطِئًا. أَكَادُ أَتَمَنَّى أَلَّا أُشَارِكَ فِي الْقِتَالِ الْمَرَّةَ الْقَادِمَةَ. دَعْهُمْ يَتَحَمَّلُوا الْمَسْئُولِيَّةَ وَيُقَابِلُوا الْعَدُوَّ وَحْدَهُمْ.»

عِنْدَهَا جَاءَ عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْجُنُودِ مُسْرِعِينَ.

صَاحَ أَحَدُهُمْ: «عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَ هَذَا يَا فليمنج!»

سَأَلَ هنري: «أَسْمَعُ مَاذَا؟»

رَدَّ الْجُنْدِيُّ: «الْتَقَى قَائِدُ الْكَتِيبَةِ بِمُلَازِمِكَ فِي مَكَانٍ قَرِيبٍ مِنَّا، وَقَالَ: «مَنْ ذَلِكَ الْجُنْدِيُّ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُ الرَّايَةَ؟» فَأَجَابَهُ الْمُلَازِمُ: «إِنَّهُ هنري فليمنج. إِنَّهُ فَتًى قَوِيٌّ»، هَكَذَا قَالَ بِالْحَرْفِ. ثُمَّ قَالَ الْقَائِدُ: «إِنَّهُ حَقًّا كَذَلِكَ. إِنَّهُ مُحَارِبٌ جَيِّدٌ. لَقَدْ ظَلَّ رَافِعًا الرَّايَةَ عَالِيًا عِنْدَ الْجَبْهَةِ. لَقَدْ رَأَيْتُهُ بِنَفْسِي. إِنَّهُ جُنْدِيٌّ شُجَاعٌ.» ثُمَّ قَالَ الْمُلَازِمُ: «مَعَكَ حَقٌّ. هُوَ وَصَدِيقُهُ ويلسون كَانَا فِي الْمُقَدِّمَةِ طِيلَةَ الْوَقْتِ.» ثُمَّ قَالَ الْقَائِدُ: «كِلَاهُمَا يَسْتَحِقُّ أَنْ يَكُونَ جِنْرَالًا فِي الْجَيْشِ».»

تَوَرَّدَ وَجْهَا هنري وويلسون خَجَلًا لِسَمَاعِ تِلْكَ الْأَخْبَارِ، وَسُرْعَانَ مَا نَسِيَا الْكَثِيرَ مِنَ الْأُمُورِ. لَمْ يَعُودَا يَشْعُرَانِ بِالْإِحْبَاطِ، بَلْ كَانَا سَعِيدَيْنِ لِلْغَايَةِ. امْتَلَأَ قَلْبَاهُمَا بِمَشَاعِرِ الِامْتِنَانِ وَالْعِرْفَانِ لِلقَائِدِ وَالْمُلَازِمِ.

الفصل السابع والعشرون

الْهُجُومُ الثَّانِي

حِينَ بَدَأَتْ قُوَّاتُ الْعَدُوِّ هُجُومَهَا الثَّانِي مِنْ وَسْطِ الْغَابَةِ، كَانَ هنري أَكْثَرَ ثِقَةً بِنَفْسِهِ. كَانَ يَقِفُ شَامِخًا رَابِطَ الْجَأْشِ بَيْنَمَا يَتَوَارَى الْآخَرُونَ. رَاقَبَ هنري الْهُجُومَ الَّذِي بَدَأَ بِمُوَاجَهَةِ فَرِيقٍ مِنْ جَيْشِهِ كَانَ عَلَى جَانِبِ تَلٍّ قَرِيبٍ. وَفِي مَكَانٍ آخَرَ فِي الْحَقْلِ كَانَ هُنَاكَ قِتَالٌ عَنِيفٌ وَسَرِيعٌ بَيْنَ كَتِيبَتَيْنِ بَدَتَا وَكَأَنَّهُمَا تَتَجَاهَلَانِ الْمَعَارِكَ الْأُخْرَى الَّتِي تَدُورُ حَوْلَهُمَا.

وَفِي اتِّجَاهٍ آخَرَ رَأَى هنري مَجْمُوعَةً هَائِلَةً مِنَ الْجُنُودِ تَقْتَحِمُ الْغَابَةَ بِخُيُولِهَا. غَابَتْ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَسُرْعَانَ مَا تَعَالَتْ أَصْوَاتُ الْقِتَالِ وَالْقَصْفِ. رَاقَبَ هنري الْمَعَارِكَ الصَّغِيرَةَ الَّتِي اسْتَمَرَّتْ بَعْضَ الْوَقْتِ. تَقَاتَلَ الْجَيْشَانِ قِتَالًا ضَارِيًا، وَرَأَى هنري الرَّايَتَيْنِ تُرَفْرِفَانِ وَسْطَ الدُّخَانِ.

بَعْدَ قَلِيلٍ عَمَّ الْهُدُوءُ الْمَكَانَ مَرَّةً أُخْرَى. هُدُوءٌ جَعَلَ الْمَكَانَ أَشْبَهَ بِالْكَنِيسَةِ. وَفَجْأَةً انْطَلَقَتِ الطَّلَقَاتُ النَّارِيَّةُ مِنْ نَاحِيَةِ مُنْحَدَرٍ قَرِيبٍ، وَبَدَأَ صَوْتُ إِطْلَاقِ النِّيرَانِ دَاخِلَ الْغَابَةِ. زَادَتْ سُرْعَةُ إِطْلَاقِ النِّيرَانِ لِلْغَايَةِ حَتَّى أَصْبَحَ صَوْتُهَا لَا يُتَصَوَّرُ. ولَمْ يَسْتَطِعْ هنري سَمَاعَ شَيْءٍ آخَرَ.

كَانَ الْجُنُودُ يَنْدَفِعُونَ هُنَا وَهُنَاكَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَنْظُرُون فِيهِ. فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ كَانَ رِجَالُ أَحَدِ الْجَيْشَيْنِ يَصْرُخُونَ وَيُهَلِّلُونَ، لَكِنْ بَعْدَ لَحْظَةٍ يُهَلِّلُ جُنُودُ الْجَيْشِ الْآخَرِ بِالْمِثْلِ تَمَامًا. كَانَتِ الصَّرَخَاتُ وَالْهُتَافَاتُ تَمْلَأُ الْأَرْجَاءَ.

تَقَدَّمَتْ كَتِيبَةُ هنري الصَّغِيرَةُ بِنَفْسِ الْحَمَاسِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ عِنْدَمَا حَانَ وَقْتُهُمْ. أَطْلَقَ الرِّجَالُ صَرْخَةَ غَضَبٍ وَأَلَمٍ عِنْدَمَا أَطْلَقَ الْعَدُوُّ النَّارَ عَلَيْهِمْ. كَانَ أَمَامَهُمْ حَاجِزٌ مِنَ

الدُّخَانِ لَمْ يَرَوْا مِنْ خِلَالِهِ إِلَّا وَمَضَاتِ الْأَعْيِرَةِ النَّارِيَّةِ الْحَمْرَاءَ وَالصَّفْرَاءَ. وَسُرْعَانَ مَا اكْتَسَوا بِالْأَوْسَاخِ وَالسُّخَامِ.

اسْتَمَرَّ الْمُلَازِمُ يَصْرُخُ فِي الْجُنُودِ لِيُوَاصِلُوا الْقِتَالَ، بَيْنَمَا ظَلَّ هنري يَحْمِلُ الرَّايَةَ. حَاوَلَ أَنْ يَرَى كُلَّ مَا يَسْتَطِيعُ. كَانَ أَحْيَانًا يَنْتَفِضُ، وَأَحْيَانًا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، بَلْ إِنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ حَتَّى إِنْ كَانَ يَتَنَفَّسُ أَمْ لَا. كَانَ مُنْشَغِلًا لِلْغَايَةِ بِمُرَاقَبَةِ الْمَعْرَكَةِ.

اقْتَرَبَ صَفٌّ كَبِيرٌ مِنْ صُفُوفِ الْعَدُوِّ مِنْ كَتِيبَةِ هنري؛ فَكَانَ يَسْهُلُ رُؤْيَتُهُمْ. كَانُوا طِوَالَ الْقَامَةِ نَحِيفِي الْأَجْسَامِ مُنْفَعِلِي الْوُجُوهِ يَتَحَرَّكُونَ بِخُطًى وَاسِعَةٍ. وَأَمَامَ هَذَا الْمَشْهَدِ، تَوَقَّفَتْ كَتِيبَةُ هنري لَحْظَةً قَبْلَ أَنْ يَبْدَءُوا إِطْلَاقَ النِّيرَانِ ثَانِيَةً قَبْلَ حَتَّى صُدُورِ الْأَوَامِرِ بِذَلِكَ. بَدَءُوا إِطْلَاقَ النِّيرَانِ مَا إِنِ انْتَبَهُوا إِلَى الْخَطَرِ الْمُحْدِقِ بِهِمْ.

لَكِنْ أَسْرَعَتْ قُوَّاتُ الْعَدُوِّ بِالِاخْتِبَاءِ خَلْفَ أَحَدِ الأَسْيِجَةِ، ثُمَّ بَدَءُوا إِطْلَاقَ النَّارِ مِنْ جَدِيدٍ عَلَى كَتِيبَةِ هنري الَّتِي هَيَّأَتْ نَفْسَهَا لِمُوَاجَهَةٍ ضَارِيَةٍ. لَمَعَتْ أَسْنَانٌ بَيْضَاءُ مِنْ بَيْنِ الْوُجُوهِ الْمُتَّسِخَةِ. وكَثِيرًا مَا صَاحَ جُنُودُ الْعَدُوِّ وَحَاوَلُوا إِهَانَةَ الْكَتِيبَةِ، لَكِنَّهَا ظَلَّتْ صَامِتَةً. رُبَّمَا كَانُوا يَتَذَكَّرُونَ الْإِهَانَةَ الَّتِي وَجَّهَهَا الجِنْرَالُ لَهُمْ وَالَّتِي جَعَلَتْهُمْ أَشَدَّ بَأْسًا.

عَزَمَ هنري عَلَى أَلَّا يَتْرُكَ هَذَا الْمَكَانَ مَهْمَا حَدَثَ. كَانَ يُرِيدُ الثَّأْرَ مِنَ الضَّابِطِ الَّذِي نَعَتَهُمْ بِرَاكِبِي الْبِغَالِ وَبِالْفَاشِلِينَ. وَأَفْضَلُ انْتِقَامٍ فِي رَأْيِهِ أَنْ يَبْقَى فِي هَذَا الْمَكَانِ إِلَى أَنْ يَهْزِمَ الْعَدُوَّ. سَوْفَ يُثْبِتُ لِلْجَمِيعِ كَمْ هُوَ شُجَاعٌ.

أُصِيبَ أَفْرَادُ الْكَتِيبَةِ إِصَابَاتٍ بَالِغَةً، وَسَقَطَ الْكَثِيرُونَ مِنْهُمْ. زَحَفَ بَعْضُ الْجَرْحَى بَعِيدًا عَنْ مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ، لَكِنْ بَقِيَ الْكَثِيرُونَ بِلَا حَرَاكٍ.

بَحَثَ هنري عَنْ ويلسون، وَوَجَدَهُ لَا يَزَالُ يُحَارِبُ. ولَمْ يُصَبِ الْمُلَازِمُ هُوَ الْآخَرُ بِسُوءٍ. كَانَ يَصِيحُ فِي الْجُنُودِ، لَكِنَّ الْوَضْعَ سَارَ مُخْتَلِفًا الْآنَ. كَانَ مُعَدَّلُ الطَّلَقَاتِ يَتَضَاءَلُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَكَانَ صَوْتُ الْمُلَازِمِ يَزْدَادُ وَهَنًا.

الفصل الثامن والعشرون

الْجَانِبُ الْآخَرُ مِنَ السُّورِ

أَتَى قَائِدُ الْكَتِيبَةِ مُسْرِعًا مِنَ الْخَلْفِ يَتْبَعُهُ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الضُّبَّاطِ.

صَاحُوا: «لَا بُدَّ أَنْ نَهْجُمَ عَلَيْهِمْ! لَا بُدَّ أَنْ نَهْجُمَ عَلَيْهِمْ!»

عِنْدَمَا سَمِعَ هنري ذَلِكَ، بَدَأَ يَدْرُسُ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَدُوِّ. أَدْرَكَ أَنَّ عَلَى كَتِيبَتِهِ التَّحَرُّكَ إِلَى الْأَمَامِ إِذَا أَرَادُوا تَحْقِيقَ النَّصْرِ. سَوْفَ يَلْقَوْنَ حَتْفَهُمْ إِذَا بَقُوا فِي أَمَاكِنِهِمْ. أَمَلُهُمُ الْوَحِيدُ أَنْ يَدْفَعُوا الْعَدُوَّ بَعِيدًا عَنِ السِّيَاجِ الَّذِي يَخْتَبِئُ وَرَاءَهُ.

ظَنَّ أَنَّ رِفَاقَهُ سَيَكُونُونَ مُنْهَكِينَ لِلْغَايَةِ لَا يَقْوَوْنَ على شَنِّ الْهُجُومِ، وَأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ تَشْجِيعِهِمْ، لَكِنْ عِنْدَمَا الْتَفَتَ لِيَنْظُرَ إِلَيْهِمْ، أَدْهَشَهُ أَنَّهُ قَدِ ارْتَسَمَتْ عَلَى وُجُوهِهِمْ جَمِيعًا تَعْبِيرَاتٌ أَكِيدَةٌ وَسَرِيعَةٌ بِالْمُوافَقَةِ. وعِنْدَمَا صَدَرَ الْأَمْرُ، تَقَدَّمَ الْجُنُودُ إِلَى الْأَمَامِ بِخُطًى مُتَحَمِّسَةٍ. كَانَتْ هُنَاكَ قُوَّةٌ جَدِيدَةٌ وَغَيْرُ مُتَوَقَّعَةٍ فِي حَرَكَتِهِمْ. كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ مُرْهَقُونَ، وَأَنَّ طَاقَةَ هَذَا الْهُجُومِ تُشْبِهُ الْقُوَّةَ الَّتِي تَظْهَرُ قَبْلَ النِّهَايَةِ مُبَاشَرَةً. رَكَضَ الْجُنُودُ بِحَمَاسٍ جُنُونِيٍّ. كَانَ انْدِفَاعًا أَعْمَى فَوْقَ حَقْلٍ أَخْضَرَ، وَتَحْتَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ فِي اتِّجَاهِ السِّيَاجِ الَّذِي يَظْهَرُ بِصُعُوبَةٍ وَسْطَ الدُّخَانِ. وخَلْفَ السِّيَاجِ، كَانَ جُنُودُ الْعَدُوِّ يُصَوِّبُونَ نَحْوَهُمْ مُبَاشَرَةً.

ظَلَّ هنري رَافِعًا الرَّايَةَ فِي الْمُقَدِّمَةِ يُلَوِّحُ بِيَدِهِ الْخَالِيَةِ وَيَصِيحُ. كَانَ يُحَاوِلُ إِثَارَةَ حَمَاسِ أَصْدِقَائِهِ، لَكِنْ بَدَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي حَاجَةٍ لِذَلِكَ. كَانَ الرِّجَالُ يَتَفَجَّرُونَ حَمَاسًا.

شَعَرَ هنري هُوَ الْآخَرُ بِالْجُرْأَةِ، وَكَانَ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَقْدِيمِ التَّضْحِيَاتِ مَهْمَا كَلَّفَتْهُ. لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ وَقْتٌ لِلتَّفْكِيرِ، لَكِنَّهُ أَدْرَكَ أَنَّ طَلَقَاتِ الْعَدُوِّ هِيَ الْحَاجِزُ الْوَحِيدُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ بُلُوغِ غَايَتِهِ.

الفصل التاسع والعشرون

انْتِزَاعُ الرَّايَةِ

انْدَفَعَ هنري إِلَى الْأَمَامِ بِكُلِّ مَا لَدَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ. لَمْ يَسْتَطِعْ رُؤْيَةَ أَيِّ شَيْءٍ سِوَى الدُّخَانِ، لَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ بِوُجُودِ سِيَاجٍ قَدِيمٍ هُنَاكَ. لَا بُدَّ أَنَّهُ كَانَ مِلْكًا لِأَحَدِ الْمُزَارِعِينَ فِي السَّابِقِ، لَكِنَّهُ الْآنَ أَصْبَحَ فِي يَدِ الْعَدُوِّ.

أَثْنَاءَ جَرْيِ هنري، لَمَعَتْ فِي ذِهْنِهِ فِكْرَةُ اللِّقَاءِ الْأَخِيرِ بَيْنَ جَيْشِهِ وَجَيْشِ الْعَدُوِّ، وَتَوَقَّعَ أَنْ تَكُونَ مُوَاجَهَةً شَرِسَةً، وَهُوَ مَا جَعَلَهُ يُسْرِعُ فِي الْعَدْوِ عَنْ أَصْدِقَائِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَهْتِفُونَ فِي قُوَّةٍ وَحَمَاسٍ.

لَكِنْ سُرْعَانَ مَا رَأَى هنري أَنَّ عَدَدًا كَبِيرًا مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ لَنْ يَصْمُدُوا لِلْقِتَالِ. وَمَعَ انْقِشَاعِ الدُّخَانِ، رَأَى هنري جُنُودَ الْعَدُوِّ يَلُوذُونَ بِالْفِرَارِ. كَانَ بَعْضُهُمْ يَلْتَفِتُونَ لِيُطْلِقُوا النَّارَ عَلَى كَتِيبَةِ هنري قَبْلَ أَنْ يُوَاصِلُوا فِرَارَهُمْ.

لَكِنْ فِي بُقْعَةٍ مُحَدَّدَةٍ بَيْنَ صُفُوفِ الْعَدُوِّ، كَانَتْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةٌ مُتَجَهِّمَةٌ وَحَازِمَةٌ لَمْ تَتَحَرَّكْ مِنْ مَكَانِهَا. كَانُوا ثَابِتِينَ فِي أَمَاكِنِهِمْ خَلْفَ السِّيَاجِ تُرَفْرِفُ فَوْقَهُمْ رَايَةٌ مُتَمَوِّجَةٌ جَامِحَةٌ.

اقْتَرَبَتْ كَتِيبَةُ هنري أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ حَتَّى الْتَقَى الْفَرِيقَانِ، وَأَصْبَحَتْ صَرَخَاتُهُمَا إِهَانَاتٍ مُتَبَادَلَةً. كَادَتِ الْمَسَافَةُ بَيْنَهُمَا تَخْتَفِي تَمَامًا.

رَكَّزَ هنري نَظَرَهُ عَلَى رَايَةِ الْعَدُوِّ الَّتِي كَانَ يُرِيدُهَا أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ. انْقَضَّ عَلَيْهَا كَالْحِصَانِ الْجَامِحِ، وَكَانَتْ رَايَتُهُ تَتَأَرْجَحُ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْهَا.

فَجْأَةً تَوَقَّفَتْ كَتِيبَةُ هنري عَلَى مَسَافَةٍ قَرِيبَةٍ، وَأَطْلَقُوا وَابِلًا مِنَ الرَّصَاصِ تَفَرَّقَ عَلَى إِثْرِهِ جُنُودُ الْعَدُوِّ، لَكِنَّهُمْ وَاصَلُوا الْقِتَالَ. أَطْلَقَتِ الْكَتِيبَةُ صَيْحَةً أُخْرَى ثُمَّ انْدَفَعُوا نَحْوَ الْعَدُوِّ.

رَأَى هنري بَعْضَ جُنُودِ الْعَدُوِّ يُقَاتِلُونَ حَتَّى النِّهَايَةِ وَأَحَدُهُمْ يَحْمِلُ الرَّايَةَ. كَانَ قِتَالًا مَهُولًا. اكْتَسَى وَجْهُ حَامِلِ الرَّايَةِ بِالْغَضَبِ وَتَشَبَّثَ بِهَا حَتَّى وَهُوَ يَتَعَثَّرُ وَيَسْقُطُ أَرْضًا. جِرَاحُهُ جَعَلَتِ الأَمْرَ يَبْدُو وَكَأَنَّ كَائِنَاتٍ غَيْرَ مَرْئِيَّةٍ تَتَشَبَّثُ بِقَدَمَيْهِ وَتُعِيقُ تَحَرُّكَهُ. بَدَا قَلِقًا لِلْغَايَةِ عِنْدَمَا قَفَزَتْ كَتِيبَةُ هنري فَوْقَ السِّيَاجِ.

عَبَرَ ويلسون السِّيَاجَ، وَانْقَضَّ عَلَى الرَّايَةِ كَنَمِرٍ يَنْقَضُّ عَلَى فَرِيسَتِهِ. انْتَزَعَ ويلسون الرَّايَةَ وَلَوَّحَ بِهَا وَهُوَ يُطْلِقُ صَيْحَةَ انْفِعَالٍ بَيْنَمَا سَقَطَ حَامِلُ رَايَةِ العدو أَرْضًا.

أَطْلَقَتْ كَتِيبَةُ هنري عَاصِفَةً مِنَ الْهُتَافِ.

انْتَهَتْ مَعْرَكَةُ التَّلِّ الصَّغِيرِ! أُسِرَ أَرْبَعَةٌ مِنْ جُنُودِ الْعَدُوِّ، وَاسْتُجْوِبُوا. أَحَدُهُمْ كَانَ مُصَابًا فِي قَدَمِهِ، وَأَخَذَ يَكِيلُ الصَّرَخَاتِ واللَّعَنَاتِ لهنري وَأَصْدِقَائِهِ. الثَّانِي كَانَ صَغِيرًا وَتَكَلَّمَ بِهُدُوءٍ مَعَ أَصْدِقَاءِ هنري عَنْ أَحْدَاثِ الْمَعْرَكَةِ، بَيْنَمَا جَلَسَ الثَّالِثُ حَزِينًا لَا يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى تَوْجِيهِ عِبَارَاتٍ غَاضِبَةٍ لِلرِّجَالِ. أَمَّا السَّجِينُ الرَّابِعُ فَكَانَ صَامِتًا طِيلَةَ الْوَقْتِ، وَكَانَ يُشِيحُ بِنَظَرِهِ عَنِ الْآخَرِينَ. بَدَا أَنَّهُ يَشْعُرُ بِالْخِزْيِ الشَّدِيدِ.

بَعْدَ أَنِ احْتَفَلَ الْجُنُودُ طَوِيلًا، جَلَسُوا خَلْفَ السِّيَاجِ فِي الْجَانِبِ الْمُقَابِلِ لِلْجَانِبِ الَّذِي كَانَ يَتَّخِذُهُ جُنُودُ الْعَدُوِّ مِنْ قَبْلُ.

كَانَتْ هُنَاكَ بَعْضُ الْأَعْشَابِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي اسْتَرْخَى فَوْقَهَا هنري، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ ويلسون مُفْعَمًا بِالْبَهْجَةِ وَالْفَخْرِ وَفِي يَدِهِ رَايَةُ الْعَدُوِّ. اسْتَلْقَى ويلسون بِجِوَارِه، وَهَنَّأَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ.

الفصل الثلاثون

بِدَايَةٌ جَدِيدَةٌ

بَدَأَتِ الْأَصْوَاتُ الصَّاخِبَةُ مِنْ حَوْلِهِمْ فِي الِانْخِفَاضِ، وَأَصْبَحَتْ لَا تُسْمَعُ إِلَّا عَلَى فَتَرَاتٍ مُتَبَاعِدَةٍ. ونَظَرَ هنري وويلسون حَوْلَهُمَا فَجْأَةً بَعْدَ أَنْ أَثَارَ هَذَا الْهُدُوءُ قَلَقَهُمَا، فلَاحَظَا بَعْضَ التَّغْيِيرَاتِ بَيْنَ الْكَتَائِبِ الَّتِي كَانَتْ تَسِيرُ هُنَا وَهُنَاكَ.

وَقَفَ هنري، وَقَالَ: «أَتَسَاءَلُ: مَاذَا يَجْرِي هُنَاكَ؟» بَدَا أَنَّهُ سَيَسْمَعُ ضَجِيجًا جَدِيدًا. وَضَعَ هنري يَدَهُ الْمُتَّسِخَةُ عَلَى عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ إِلَى الْحَقْلِ.

وَقَفَ ويلسون هُوَ الْآخَرُ وَحَدَّقَ النَّظَرَ.

قَالَ: «أَنَا مُتَأَكِّدٌ أَنَّنَا سَنُغَادِرُ هَذَا الْمَكَانَ، وَنَعُودُ ثَانِيَةً إِلَى النَّهْرِ.»

انْتَظَرَا وَرَاقَبَا، وَبَعْدَ قَلِيلٍ تَلَقَّتِ الْكَتِيبَةُ الْأَوَامِرَ بِالْعَوْدَةِ مِنْ حَيْثُ جَاءُوا. نَهَضَ الرِّجَالُ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ وَبَسَطُوا أَيَادِيَهُمْ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ. سَبَّ أَحَدُ الْجُنُودِ وَهُوَ يَفْرُكُ عَيْنَيْهِ، وَتَذَمَّرَ الْجَمِيعُ. كَانَ اعْتِرَاضُهُمْ عَلَى تِلْكَ الْأَوَامِرِ كَاعْتِرَاضِهِمْ عَلَى الدُّخُولِ فِي مَعْرَكَةٍ جَدِيدَةٍ؛ إِذْ كَانُوا يَشْعُرُونَ بِالرَّاحَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ.

سَارَ الرِّجَالُ رُوَيْدًا رُوَيْدًا عَبْرَ الْحَقْلِ فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ، بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَعْدُونَ فِيهِ بِجُنُونٍ قَبْلَ قَلِيلٍ.

اسْتَمَرَّتِ الْكَتِيبَةُ فِي السَّيْرِ حَتَّى انْضَمَّتْ إِلَى بَقِيَّةِ الْجَيْشِ، وَأُعِيدَ تَشْكِيلُ الْكَتَائِبِ فِي صُفُوفٍ، وَوَاصَلُوا مَسِيرَتَهُمْ فِي الْغَابَةِ. شَاهَدُوا فِي طَرِيقِهِمْ بيتًا أَبْيَض أَمَامَهُ مَجْمُوعَاتٌ مِنْهُمْ يُطْلِقُونَ النَّارَ عَلَى عَدُوٍّ بَعِيدٍ.

عِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ انْعَطَفَ الْجُنُودُ مِنْ طَرِيقِ الْحَقْلِ، وَتَحَرَّكُوا فِي اتِّجَاهِ النَّهْرِ. وعِنْدَمَا انْتَبَهَ هنري إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا يَقْصِدُونَهُ، نَظَرَ خَلْفَهُ وَأَخَذَ نَفَسًا عَمِيقًا

مَمْزُوجًا بِالرِّضَى، ثُمَّ وَكَزَ صَدِيقَهُ ويلسون، وَقَالَ: «نَحْنُ نُغَادِرُ سَاحَةَ الْقِتَالِ! لَقَدِ انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ!»

نَظَرَ ويلسون خَلْفَهُ هُوَ الْآخَرُ، وَقَالَ فِي دَهْشَةٍ: «نَعَمْ، لَقَدِ انْتَهَتْ!»

قَضَى هنري بَعْضَ الْوَقْتِ لِيَتَكَيَّفَ مَعَ هَذَا التَّغْيِيرِ. صَفَا ذِهْنُهُ تَدْرِيجِيًّا، وَبَدَأَ يَسْتَوْعِبُ أَيْنَ كَانَ وَمَاذَا يَحْدُثُ. فَهِمَ أَنَّ الْحَرْبَ قَدِ انْتَهَتْ، وَأَنَّهُ كَانَ فِي أَرْضٍ تَمْلَؤُهَا مَعَارِكُ غَرِيبَةٌ، وَأَنَّهُ قَدْ عَادَ. أَدْرَكَ أَنَّهُ كَانَ فِي مَكَانٍ مَلِيءٍ بِالدِّمَاءِ وَمَشْحُونٍ بِمَشَاعِرِ الْغَضَبِ، وَأَنَّهُ نَجَا. أَوَّلُ شَيْءٍ خَطَرَ فِي بَالِهِ هُوَ أَنْ يَحْتَفِلَ.

لَاحِقًا بَدَأَ هنري يَتَمَعَّنُ فِي تَصَرُّفَاتِهِ مِنَ الْإِخْفَاقَاتِ وَالْإِنْجَازَاتِ. شَعَرَ بِالسَّعَادَةِ، وَلَمْ يَنْدَمْ عَلَى شَيْءٍ. لَمْ يُشَاهِدْهُ الْآخَرُونَ إِلَّا فِي الْمَوَاقِفِ النَّبِيلَةِ. كَانَ سَعِيدًا بِتَذَكُّرِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ، وَظَلَّ وَقْتًا طَوِيلًا يَسْتَرْجِعُهَا فِي خَيَالِهِ.

كَانَ يَرَى نَفْسَهُ جُنْدِيًّا كُفْئًا، وَتَذَكَّرَ فِي سَعَادَةٍ تَعْلِيقَاتِ رِفَاقِهِ عَنْ مَدَى شَجَاعَتِهِ.

لَكِنْ عَاوَدَهُ شَبَحُ هُرُوبِهِ مِنَ الْمَعْرَكَةِ الْأُولَى. كَانَ سَاخِطًا إِلَى حَدٍّ مَا بِشَأْنِ مَا حَدَثَ. وَلِلَحْظَةٍ انْتَابَهُ شُعُورٌ بِالْخَجَلِ وَالْخِزْيِ.

ثُمَّ عَاوَدَتْهُ ذِكْرَى الْجُنْدِيِّ ذِي الثِّيَابِ الرَّثَّةِ الَّذِي فَرَّ مِنْهُ فِي الْحَقْلِ. وَلِلَحْظَةٍ أَخَذَ يَتَصَبَّبُ عَرَقًا عِنْدَمَا فَكَّرَ أَنَّ الْآخَرِينَ قَدْ يَعْرِفُونَ مَا فَعَلَ، فَأَطْلَقَ صَرْخَةَ أَلَمٍ.

الْتَفَتَ إِلَيْهِ ويلسون، وَسَأَلَهُ: «مَاذَا بِكَ يَا هنري؟»

لَمْ يَسْتَطِعْ هنري الرَّدَّ عَلَى صَدِيقِهِ، وَغَمْغَمَ لِنَفْسِهِ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ وَاضِحَةٍ.

وَأَثْنَاءَ سَيْرِهِ، سَيْطَرَتِ الطَّرِيقَةُ الَّتِي تَصَرَّفَ بِهَا عَلَى فِكْرِهِ، وَأَفْسَدَتْ عَلَيْهِ ذِكْرَيَاتِهِ الْجَمِيلَةَ. وَمَهْمَا حَاوَلَ أَنْ يُلْهِيَ نَفْسَهُ بِالتَّفْكِيرِ فِي شَيْءٍ آخَرَ، لَاحَقَهُ مَشْهَدُ الْجُنْدِيِّ ذِي الثِّيَابِ الرَّثَّةِ الَّذِي تَرَكَهُ وَحِيدًا فِي الْحَقْلِ. نَظَرَ هنري إِلَى أَصْدِقَائِهِ وَتَيَقَّنَ أَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهِ فَسَيَرَوْنَ نَظْرَةَ الذَّنْبِ فِي وَجْهِهِ، لَكِنَّهُمْ كَانُوا يَبْتَعِدُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ عَنِ النَّصْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي حَقَّقُوهُ فِي الْمَعْرَكَةِ الْأَخِيرَةِ.

لِفَتْرَةٍ، شَغَلَتْهُ هَذِهِ الذِّكْرَى عَنْ كُلِّ مَظَاهِرِ الِاحْتِفَالِ. لَقَدْ أَدْرَكَ خَطَأَهُ، وَخَافَ أَنْ يُرَافِقَهُ الشُّعُورُ بِالذَّنْبِ طِيلَةَ حَيَاتِهِ. تَجَنَّبَ الْحَدِيثَ مَعَ أَصْدِقَائِهِ وَتَفَادَى النَّظَرَ إِلَيْهِمْ.

لَكِنْ، شَيْئًا فَشَيْئًا اسْتَجْمَعَ هنري الْقُوَّةَ لِإِلْقَاءِ ذَلِكَ الْخَطَأِ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَخِيرًا بَدَا أَنَّهُ يُفَكِّرُ بِأُسْلُوبٍ مُخْتَلِفٍ. تَذَكَّرَ أُسْلُوبَهُ وَمُعْتَقَدَاتِهُ قَبْلَ الْمَعْرَكَةِ، وَاكْتَشَفَ أَنَّهُ كَرِهَ هَذَا الْأُسْلُوبَ.

وَمَعَ هَذَا الِاكْتِشَافِ، اسْتَعَادَ ثِقَتَهُ بِنَفْسِهِ. لَقَدْ شَعَرَ أَنَّهُ أَصْبَحَ بِالْفِعْلِ رَجُلًا قَوِيًّا رَابِطَ الْجَأْشِ. عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يَنْسَحِبَ مِنْ أَيِّ مَعَارِكَ قَادِمَةٍ. كَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَوْتِ، وَاكْتَشَفَ فِي النِّهَايَةِ أَنَّهُ مَوْتٌ فَحَسْب.

وَهَكَذا تَغَيَّرَتْ رُوحُهُ أَثْنَاءَ عَوْدَتِهِ مِنْ سَاحَةِ الدِّمَاءِ وَالْغَضَبِ. لَمْ يَعُدْ غَاضِبًا أَوْ خَائِفًا.

أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ، وَوَاصَلَ الْجُنُودُ مَسِيرَتَهُمْ وَسْطَ الْأَرْضِ الْمُوحِلَةِ. بَدَا عَلَيْهِمْ الِانْزِعَاجُ وَأَخَذُوا يُغَمْغِمُونَ بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَفْهُومَةٍ، لَكِنَّ هنري ابْتَسَمَ؛ لِأَنَّهُ رَأَى أَنَّ الْعَالَمَ فِي انْتِظَارِهِ. لَقَدْ تَحَرَّرَ مِنْ مَخَاوِفِ الْحُرُوبِ! لَقَدِ انْتَهَى الْكَابُوسُ! كَانَ مِثْلَ حَيَوَانٍ يَفْزَعُ أَشَدَّ الْفَزَعِ مِنْ أَهْوَالِ الْحُرُوبِ وَأَخْطَارِهَا. نَظَرَ هنري حَوْلَهُ إِلَى السَّمَاءِ الْجَمِيلَةِ، وَالْمَرَاعِي النَّاضِرَةِ، وَالْأَنْهَارِ الْبَارِدَةِ؛ حَيَاةٌ مِنَ السَّلَامِ الدَّائِمِ.

وَفَوْقَ النَّهْرِ، سَقَطَ شُعَاعُ شَمْسٍ ذَهَبِيٌّ مِنْ بَيْنِ السُّحُبِ المَطِيرَةِ.



هنداوي